جامعة محمد بوضياف بالمسيلة/ الجزائر.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ.

الأستاذ: قاصري محمد السعيد

المقياس: دراسة أرشيف تاريخ الجزائر

المستوى: السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الجزائر.

المحاضرة رقم 08

الأرشيف الجزائري بفرنسا..

لا يستطيع أن يستغني أي باحث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر عن الأرشيف الجزائري الموجود بفرنسا، نظرا لأهميته، أرشيف قامت الإدارة الاستعمارية الفرنسية بتهريبه من الجزائر قبل وغداة الاستقلال سنة 1962، ولم تترك لنا إلى النزر القليل كما سبق وذكرنا، ناهيك عن عمليات الحرق التي طالت جزء كبير منه خلال النشاط الذي قامت به المنظمة الخاصة الإرهابية، ونظرا للكم الهائل من الأرشيف الجزائري بفرنسا، قامت هذه الأخيرة بوضع ثلاثة مراكز أساسية له، مراكز يمكن التطرق إليها حسب أهميتها على النحو التالي:

1-محفوظات قصر فانسان، المصالح التاريخية للجيش البري -باريس-:

يعتبر من أهم الأرشيفات العالمية الخاصة بتاريخ الجزائر، وقد لقيت هذه المحفوظات اقبالا كبيرا من جمهور الباحثين بعد أن فتحت سنة 1992 أبواب أرشيف المصالح التاريخية للقوات البرية، والمتعلقة بالثورة الجزائرية). يغطي هذا الأرشيف الفترة الاستعمارية بالجزائر، ويمكن تقسيمه إلى ثلاث فترات حسب ما أشار إليه الأستاذ مناصرية في مقال له عن هذا الأرشيف: (يوسف مناصرية: أرشيف تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في دور المحفوظات فرنسا وتونس، حولية المؤرخ، العددان: 3، 4)

***-الوثائق المتعلقة بالقرن 19:**

من بين أهم محتوياتها: وثائق الحملات العسكرية في الشرق الجزائري في الفترة الممتدة من 1836-1847/ من بينها: الحملتين العسكريتين على بايلك الشرق الجزائري بقسنطينة سنتي 1836، 1837. الحملة العسكرية على أولاد سلطان بباتنة سنة 1844، الحملات العسكرية في الأوراس، ماي-جوان 1845...الخ.

***-الوثائق المتعلقة بالقرن 20:**

تمتاز بتنوعها، فهي تشمل: وثائق خطية وتقارير عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية، واحصاءات جغرافية ودراسات اقتصادية وديموغرافية وجغرافية، ومن بين أهم الوثائق يهذا الخصوص:

-الدراسات الاقتصادية والديمغرافية والجغرافية المتعلقة بمنطقتي الأوراس فيما بين 1948-1959، وقسنطينة فيما بين 1954-1955.

-مجازر 08 ماي 1945. وموقف بريطانيا منها.

-الوضع السياسي والروحي والفكري للسكان الجزائريين فيما بين 1946-1950.

-نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين 1938-1960...الخ.

*–**الوثائق المتعلقة بالثورة التحريرية:** من بين ما اشتملت عليه حسب ما أشار إليه مناصرية، على سبيل المثال لا الحصر:

-وثائق المصالح الإدارية الخاصة بين سنوات 1955-1961.

-وثائق خطي شال وموريس بين سنوات 1957-1961.

-نشاط جيش التحرير في مناطق قسنطينة ووهران والصحراء فيما بين 1956-1959.

-موضوعات تتعلق بنشاط أحزاب الحركة الوطنية كنشاط الحزب الشيوعي الجزائري فيما بين 1955-1962، إلى جانب وثائق أخرى تتعلق ببعض قادة الثورة كمحمد بوضياف، بن بلة، محمد خيضر، وبالعائلات الجزائرية المتعاطفة مع جبهة التحرير...الخ.

إلى جانب هذه الدراسة القيمة التي أنجزها الأستاذ مناصرية حول الأرشيف الجزائري بقصر فانسان، نثمنها بما قدمه أيضا الأستاذ إبراهيم مياسي رحمه الله، خصوصا ما تعلق منها، بالعلب أو الصناديق الأرشيفية التي باتت تحمل أرقاما ورموزا واختصارات، وكل واحد منها له مدلول خاص به، وهذا ما يمكن توضيحه في ما يلي: (إبراهيم، مياسي، التاريخ حقائق ووثائق)

1-سلسلة (H) للأرشيف المركزي في الولاية العامة بالجزائر.

2-سلسلة (G)تضم وثائق تخص التنظيمات الإدارية للجزائر من 1883-1902.

3-سلسلة (E) تشمل المراسلات ا لسياسية العامة للولاية العامة، خلال القرن 19.

4-سلسلة (L) خاصة بعملية الاستعمار. كل سلسلة من هذه السلاسل تشمل المئات من الصناديق (العلب)، وكل علبة أو صندوق يحتوي على المئات من الوثائق.

2–**محفوظات الأرشيف الدبلوماسي وزارة الخارجية الفرنسية:** من بين ما اشتمل عليه على سبيل المثال، بناء على الدراسة التي أعدها مناصرية ، دراسة يمكن توزيع تموضع الأرشيف الجزائري بها على النحو التالي:

–**وثائق الجزائر خلال القرن 19:** اشتملت على ما يلي:

المراسلات: مراسلات الداي حسين، مراسلات الملك لويس فيليب، مراسلات الدوق دور فيقو ومحمد خوجة حاكم المدية، رسائل مصطفى بن إسماعيل إلى الملك لويس فيلي.

-وضع الحدود بين الجزائر وتونس فيما بين 1852-1855، المهاجرين الجزائريين بتونس، هذا إلى جانب ملفات أخرى مهمة كملف جهود الجزائريين في الحركات الوطنية المغاربية وخاصة منها التونسية.

–**وثائق الجزائر خلال القرن 20:** من بين ما اشتملت عليه:

-التعليم الخاص بالجزائريين فيما بين 1940-1943

-المراسلات العامة والشؤون السياسية فيما بين 1918-1938.

-الصحافة الجزائرية 1918-1926.

3–**محفوظات مركز أرشيف ما وراء البحر (بأكس أون بروفانس):**

يمثل أهمية كبيرة بالنسبة للباحثين الجزائريين، حيث لا تكاد تخلو وثائقه من أي موضوع له علاقة بتاريخ الجزائر في الفترة الممتدة من سنة 1830 1962، ومن بين الملفات الأساسية المتواجدة به، ملفات مدرجة ضمن الحكومة العامة بالجزائر، (G.G.A)، ضمن السلسلة (H)، التي تحتوي على علب وكل علبة تحتوي على المئات من الوثائق التاريخية.

-ملف الثورات الشعبية، الأمير عبد القادر، الحاج احمد باي، المقراني، بوعمامة...الخ.

-ملفات قائمة بذاتها وتتعلق مثلا: المهاجرين الجزائريين في المغرب الأقصى، تونس، المشرق العربي. ملف الحج. ملف الجامعة الإسلامية. الصحافة.

-ملفات تتعلق ببعض الشخصيات الجزائرية في القرنين التاسع عشر والعشرين/ أحمد باي، الأمير عبد القادر، الأغاوات، القياد، مصطفى بن إسماعيل. الأمير خالد، فرحات عباس.

-الجزائر خلال الحربين العالميتين، المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي.

يحتوي هذا الأرشيف هو الآخر على مجموعة من السلاسل، يمكن حصرها أهمها في ما يلي حسب ما أشار إليه الأستاذ إبراهيم مياسي: سلسلة (F) 80، سلسلة (H)، سلسلة (J)، وكل سلسلة من هذه السلاسل تحتوي على المئات من الصناديق (العلب) وكل علبة تحتوي على المئات من الوثائق الأرشيفية.

تعد السلسلة (H) من أهم السلاسل الأرشيفية في هذا المركز، وهي محصورة ما بين 1H11و 30H81. (مياسي، إبراهيم). ومن خلال الزيارة التي قادتنا لهذا المركز في شهر أكتوبر 2007، نكون على وقفنا على مدى غزارة هذا الأرشيف والتنظيم الدقيق والمحكم، حيث يتوفر على قاعة كبيرة للباحثين مجهزة بكل وسائل البحث الحديثة، كما يتوفر على كل وسائل الراحة للباحثين، وما يمكن ملاحظته حول بعض الوثائق التي لم يفرج عنها بعد للباحثين، فهي تفتح مع مرور الوقت، وبعضها سيفتح حتى موفى 2060.

على الرغم من الحرص الشديد لكتابة التاريخ من الوثائق، فالتاريخ وثائق، وحيث لا وثائق لا تاريخ، و((إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها حسب ما أشار إليه أسد رستم في كتابه الموسوم بمصطلح التاريخ. فإن للباحث إبراهيم مياسي وجهة نظر أخرى حول هذا الكم الهائل من الأرشيف الموجود بفرنسا، وهو أرشيف في الأصل فرنسي وليس جزائري، وجهة نظر يمكن سردها في ما يلي:

((التنبيه إلى خطورتها وتمحيصها، فهذه الوثائق هي تاريخهم من خلالنا نحن هي الوثائق الفرنسية عن تاريخ الثورة الجزائرية..وهي ليست وثائق للثورة الجزائرية عن الحرب التحريرية أو عن مكافحة الاستعمار الفرنسي، وهذه الوثائق لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تخدم تاريخنا، ولا قضيتنا على الإطلاق فهي تزيد من البلبلة والتشويش وعدم وضوح الرؤية، بل يمكن أن نتجاوز ذلك إذا كانت موظفة بحق لتحطيمها حاضرا ومستقبلا، أي إذا ما وضعت فيها بعض السموم يمكن أن تشعل نار الحرب بيننا من جديد لأنه يكفي لهذه الوثائق أن تلمح من طرف خفي بأن المناضل الفلاني اتصل بالسلطات الاستعمارية اتصالات مريبة لكي يشك في أمره وتدور حوله الشبهات ويتحول من زعيم إلى خائن..والعكس صحيح، إن بعض الذين تعاونوا مع الاستعمار يمكن أن تأتي في حقهم تقارير مزيفة تتحدث عن مواقفهم الصلبة وتلفق لهم التهم الباطلة لترفعهم إلى مرتبة الشهداء)).

لم يكتف الأستاذ مياسي بهذا الطرح (يتعلق في نظرنا بتاريخ الثورة) بل قدم لنا بديل آخر، يراه مناسب جدا للبحث في تاريخ الثورة. ومما جاء به في هذا الخصوص: ((بالنسبة لتاريخ الثورة وإلى السنوات القليلة القادمة ستظل المصادر الوحيدة لتاريخ الثورة هي المصادر الحية لهذا التاريخ، والتي تتمثل في الشخصيات التي صنعت أحداث تاريخ الثورة والتي عايشته وعاشته وقاتلت من أجله وضده معا..إن تاريخ الثورة يجب أن يستقي من هذه المصادر وهذه المنابع...وهؤلاء ليسوا فقط المجاهدين إنما هم أيضا الشعب كل الشعب الجزائري..لأن تاريخ الثورة هو تاريخ الشعب وليس تاريخ فئة دون الأخرى من هذا الشعب وهو فوق هذا وذاك ملك له من حقه أن يسجله ويدونه بما فيه من مظاهر القوة، ومظاهر الضعف..وبما فيه من إيجابيات وسلبيات..لأن الإيجابيات والسلبيات محكومة بظروفها، وما يبدو اليوم إيجابيا فقد يكون غدا سلبيا، والعكس صحيح، وعليه فإن كل ما تصنعه الشعوب لابد أن يحفظه لها التاريخ، فالوقائع ليست مهمة في ذاتها، والثورة ليست كأحداث في ذاتها، وانما المهم هو التجربة التي يعيشها الشعب في الثورة)). إبراهيم مياسي، المرجع السابق.

وبهذا الخصوص يمكن القول: سبق لنا في محاضرات سابقة التطرق إلى طرق وآليات التعامل مع الوثيقة التاريخية، وركزنا في محاضرتنا على طريقة العالم الفرنسي "دوم جان مابيون Dom Jean Mabillon" التي استحدثها سنة 1681 لدراسة الوثيقة من حيث الشكل، (ليلى، الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي). وإذا سلمنا فرضا بصحتها شكلا، ننتقل إلى دراستها من حيث المضمون، وبعدما نتأكد من صحتها نقوم حينها بتوظيفها في البحث.

المصادر والمراجع:

-يوسف، مناصرية: ((أرشيف تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر في دور المحفوظات فرنسا وتونس، حولية المؤرخ، العددان: 3، 4،)). 2005.

-إبراهيم، مياسي: ((التاريخ حقائق ووثائق (دراسة الوثائق الأرشيفي في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر)))، المدرسة التاريخية الجزائرية. الجزائر، 1998.

-محمد الطاهر، العدواني: ((حول المنهج العلمي لكتابة تاريخ الثورة معضلة كتابة تاريخ الثورة))، المدرسة التاريخية الجزائرية. 1998.

-عمر، بوضربة: تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1954-1960. الجزائر، 2013.

-أسد، رستم: مصطلح التاريخ. بيروت، 2002.

-ليلى، الصباغ: دراسة في منهجية البحث التاريخي، ط13، منشورات جامعة دمشق، 2008.

-محمد السعيد، قاصري: زيارة ميدانية لأرشيف أكس أون بروفانس أكتوبر 2007. العلب المطلع عليها على سبيل المثال:

1H6 . 7H22-23. 9H98-99-100-101…